

نظرية الفونيم نشأة و تطور

د. مجدي حسين أحمد شحادات

جامعة : البلقاء التطبيقية

- الأردن -

ملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة نظرية الفونيم وفق التصورات التي وصلت إلينا عن هذه النظرية في الكتب العربية، التي شكلت في ما بعد مفهوم الفونيم في الدرس اللغوي الحديث. إذ استطاعت المدارس اللغوية الغربية على يد روادها الأوائل أن يقدموا لنا اتجاهات كثيرة في تفسير هذا المفهوم الجديد.

وعرضت هذه الدراسة أيضا؛ لتلك الاتجاهات كما نقلها علماء العرب في كتبهم، بالإضافة إلى الكتب المترجمة. ولأن نظرية الفونيم مفهومًا واصطلاحًا مثّلت حلقة مهمة في الدرس اللغوي الحديث عمدت هذه الدراسة إلى تقديم صورة واضحة عن دخول هذه النظرية إلى الدرس اللغوي العربي .

Abstract

The theory of evolution and the emergence of Alfontim

The aim of this research to study the theory Alfontim according to the perceptions that arrived to us on this theory in Arab books, which was formed after the concept of Alfontim in linguistic lesson. As it managed language schools bank by the first female

patrons to provide us many directions in the interpretation of this new concept.

The study also; those trends as conveyed to Arab scientists in their books, as well as to the books translated. Because the theory of Alfonim understood and commonly termed represented an important workshop in linguistic lesson talk, this study to provide a clear picture of the entry of this theory to the lesson of the Arab language.

كلمات دالة : الفونيم / الدراسات اللغوية / الصفات النطقية / الصوت / الوظيفي

تمهيد :

يرى علماء اللغة في الدرس اللساني الحديث أن مفهوم الفونيم هو فكرة قديمة جدا تعود إلى ماض بعيد ، وذلك حين اهتدى الإنسان إلى الكتابة الأبتائية _ أو الأبجدية _ التي استغني بها عن أسلوب التصوير، فقد تطور فكره بعد ذلك ليكوّن طريقة أسهل من سابقتها يستطيع عن طريقها أن يستوعب حاجته المتزايدة للاتصال والتواصل ، وكانت هذه الطريقة الجديدة بمثابة ترجمة لتصورات ذهنية للأصوات التي تشكل الكلمات .

و قدمت الدراسات الحديثة بعد ذلك نتائج تدعم هذا الرأي وتأكده ، فحروف الأبجديات المختلفة في اللغات البشرية ليست صورة كتابية ، ولا أصواتا تنطق فقط ، بل هي أقسام يشتمل كل منها على عدد من الأصوات يجمعها نسب معين وتدخل

مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد السابع
ماي 2016

في نطاق السمع والبصر ؛ لذا فهي فكرة عقلية ، لا عملية عضلية ، وبناء على هذا
يكون المفهوم الذي تطرحه الدراسات الحديثة للحرف مساويا للمصطلح الغربي الجديد
(الفونيم)¹.

ويقول فندريس : (لسنا في حاجة إلى القول بأننا لا نستطيع احصاء
الأصوات المستعملة في لغة ما بعدد الحروف الموجودة في أبجديتها ، فكل لغة فيها
من الأصوات أكثر مما في كتابتها من العلامات ، فعدد الأصوات في أية لغة لا
يكاد يتعدى الستين عادة ، وهذا العدد لا يثير الدهشة ، بل يفسر بدهشة تنوع
الأصوات في الجهاز الإنساني ، والتي لا يمكن استعمال عدد كبير منها في لغة
واحدة ...، فعدد الأصوات اللغوية الممكنة يكاد يمتد إلى ما لا نهاية ... ومع ذلك
فان الأصوات المستعملة في كل لغة محدودة العدد)².

وقد اعتمدت هذه الدراسة منهاجا وصفيا استقرائيا للمصنفات العربية و
الكتب المترجمة للوقوف على مفهوم الفونيم كما نقله علماء العربية عن علماء الغرب
، بالإضافة لتوضيح حقيقة هذا المفهوم الجديد الذي مثل الحلقة الأهم في تاريخ
الدرس اللغوي الحديث .

وجاءت محاور الدراسة كمايلي :

أولا . نظرية الفونيم

ثانيا . مفهوم الفونيم

1- الاتجاه العقلي

2 - الاتجاه المادي

3 - الاتجاه الوظيفي

4- الاتجاه التجريدي

ثالثا . مكونات الفونيم

1 - أعضاء الفونيم

2 - الملامح التمييزية

رابعا . أنواع الفونيمات

خامسا . الكتابة الفونيمية

أولا . نظرية الفونيم :

تعد نظرية الفونيم من النظريات اللسانية الحديثة³ ، فقد دخلت مضمار الدراسات اللسانية في نهاية القرن التاسع عشر ، ويجمع العلماء على أن الفضل في مفهوم الفونيم يعود إلى العالم البولندي جان بادوين كورتيني ، إذ ظهرت أولى إشارات عن هذا المفهوم عندما نشر أول مقال له في عام (1869م) إذ بدا فيه أنه مدرك أن أصوات اللغة تمارس وظيفة لغوية تمييزية بين التتوعات النطقية التي تشكل الكلمات، ثم ظهرت الإشارة الثانية عندما نشر كتابه الأول في عام (1873م) الذي قدم فيه مضمون هذه النظرية⁴ .

وفي الوقت الذي أجمعت الدراسات اللغوية الحديثة على أن بادوين هو الأب الروحي لمفهوم الفونيم ، وهو أول من أعطى التصور الدقيق واكتشف الطبيعة اللغوية له ، ثبت كذلك أن صاحب هذا المصطلح (الفونيم) هو أحد تلامذة بادوين ، فقد ورد في المراجع اللغوية التي تتناولت هذا الرأي أن بادوين صرح بذلك في مقدمة عمل له منشور سنة 1893م ، وقد حدد فيه تاريخ ميلاد هذا المصطلح بعام 1879 على يد أحد تلامذته وهو كروسزيفسكي⁵ . وعلى الرغم مما أكدته المؤلفات اللغوية في أصول هذه النظرية إلا أن بعض العلماء يرى غير ذلك ، فبعضهم يرى أن مفهوم الفونيم اكتشف على يد هنري سويت في لندن ، بالإضافة إلى بادوين وكان ذلك عندما نشر سويت كتابه عام 1877 م ، ونشر بادوين كتابه عام 1873م⁶ . في حين يقول جورج مونان : ((لقد تكوّن مفهوم الفونيم لدى بادوين بشكل واضح أثناء إقامته في كازان وخلال لقائه بكروزيوسكي⁷) ويحاول مونان بتبنيه هذا الرأي

مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد السابع
ماي 2016

أن يظم إليه جاكسون الذي رأى أن التلميذ قد تجاوز أستاذه ، ولكن في الحقيقة أن جاكسون لم ينف خصوصية هذا المفهوم عند بادوين وإنما رأى أن التلميذ قد طور كثيرا في نظرية أستاذه لمفهوم الفونيم ، ومع ذلك لم يخرج عن حدود التفسير النفسي الذي جاء به بادوين⁸. أما استخدام المصطلح فجاء في بعض المؤلفات أن ديفريش ويسحيت هو أول من استخدم مصطلح الفونيم ، في اجتماع الجمعية اللغوية الفرنسية عام 1873، وثاني من استعمله لويس هافيت ، ومنه انتقل إلى دوسوسير⁹.

بعد هذا الحضور الذي حققته نظرية الفونيم استطاع العلماء أن يتبنوا تلك الافكار و يطورها ليدخل الفونيم بنظريته الجديدة المدارس اللسانية المتعددة في ذلك العصر ، ((فكان أول من استعمل هذا المصطلح في الانجليزية لأول مرة (ر ، ج ، لويد) وذلك في استعراضه لراي بادوين)¹⁰ ، في حين جاء في مراجع أخرى أن فكرة الفونيم دخلت إلى لندن لأول مرة عام 1911م على يد البروفسور L.Scerbe ، وذلك عندما قدم هذه الفكرة إلى دانيال جونز الذي استعمل المصطلح (الفونيم) ، و بعد ذلك وطور مفهومه من وجهة نظره هو فاستخدمه أول مرة عام 1917م في محاضرة عامة¹¹ .

أما دخول هذا المصطلح إلى أمريكا فقد بدأ عند سابير الذي كان حذرا في استخدامه أول الأمر فلم يشير اليه مباشرة إنما اكتفى بالتلميح عنه في كتابه language الذي نشره عام 1921م ، ولكنه ظهر عنده بوضوح بعد ذلك في بحث عن الفونيم نشره عام 1933م، وقد راج هذا المصطلح بمفهومه الجديد أكثر من قبل ولاقى اهتماما كبيرا عند ما ظهر كتاب بلومفيلد language عام 1933م¹² .

واجهت نظرية الفونيم في بداية طرحها اتجاهات متباينة من التأييد والرفض ، ويقول احمد مختار عمر : (ربما لم يوجد تطرف في تأييد النظرية والدفاع عنها في جانب والهجوم عليها والانتقاص منها في جانب آخر كما وجد

مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد السابع
ماي 2016

بشان هذه النظرية¹³. وقد لاقت هذه النظرية من التأييد المطلق والتبني والتحمس
الكبيرين ما دعا هؤلاء المدافعين أن يتخذوا مواقف صارمة ومنتشدة فهذا كرامسكي_
وهو من أكبر المدافعين_ يقول: (إن اكتشاف الفونيم يعد واحدا من أهم الانجازات
التي حققها علم اللغة ... فذلك يعادل اكتشاف الطاقة النووية ، لأن هذا الكشف في
مجال علم اللغة أدى إلى ثورة في التفكير اللغوي ، كما أن كشف الطاقة النووية أدى
إلى ثورة في العلوم التقنية)¹⁴ . ومنهم كذلك من رأى أن اكتشاف الفونيم يمثل ثورة
صوتية في هذا العلم الحديث¹⁵ .

أما الرافضون لهذه النظرية والمنتقدون لها فأكثرهم من مدرسة لندن اللغوية
وعلى رأسهم (فيرث) ، الذي حاول أن يقدم بديلا عنها ، فهو يرى أن الدراسات
اللسانية قد اخذت كفايتها من التحليل الفونولوجي الدقيق ؛ لأن الدراسات بدأت تعود
إلى التركيب بدل التحليل ، فهذا التحليل الذي قدم أصغر وحدة صوتية مفترضة و
سماه فونيم ، لا وجود له ، بالإضافة إلى أن التحليلات التي عرضت حوله غير
جيدة¹⁶ . ومن الرافضين كذلك ديفيد إبركرومبي الذي يرى أن هذه النظرية أوقعت
المتعلمين في الخلط والاضطراب ، وجعلتهم يتوقعون أن الكلام يتم في شكل
فونيمات تمثل جزئيات منفصلة¹⁷ .

ولم يتوقف رفض العلماء على هذا فحسب ، بل رأى آخرون أكثر تعصبا
ممن ذكرنا سابقا أن فكرة الفونيم ليست موجودة ، والكلمة هي أصغر وحدة أو
عنصر في البحث اللساني، ومنهم (الفرد سميث) الذي يعتمد في رأيه على أن
الفونيم من الوجهة النفسية لا يؤدي وظيفة بصورة منفردة¹⁸ . أما (توادل) فيستبعد
وجود الفونيم من الناحية العضوية و من الناحية النفسية ، و يرى أن الفونيم وحدة
خرافية تجريدية¹⁹ .

ثانيا . مفهوم الفونيم :

قدم علماء اللغة في البحوث اللسانية الحديثة عشرات التعريفات للفونيم جاء كل تعريف منها بأسلوب خاص يعبر عن تصور كل عالم لهذا المفهوم ؛ لذلك يلاحظ على تلك التعريفات المختلفة للفونيم أن اختلافها يعكس مظاهر شكلية لا تتصل بالمفهوم الدقيق له، فجونز يقول (لا واحد من التعريفات التي سمعت بها لا يمكن مهاجمته ، ولا أظن انه من الممكن تقديم تفسير لا يترك منفذ للشذوذ والاستثناء)²⁰.

و يعد مصطلح الفونيم من أصعب المصطلحات اللغوية التي واجهة درس اللغوي الحديث ، و الظاهر في المذاهب المتعددة التي طرحها الباحثون في هذا المجال أن الصعوبة أتت من الفرضيات التي اعتمدها العلماء في تفسير هذه الوحدات الصوتية ، فتراوحت تلك الفرضيات بين : الأساس العضوي أو نطقي ، أو السمعي ، أو الوظيفي ، أو النفسي ، أو أنه خليط من بعضها أو منها جميعا .

و عليه ؛ إن العدد الكبير من تعريفات الفونيم تعود إلى اختلاف الزاوية التي تم النظر من خلالها لهذا المصطلح ، علما أنه كان سهل الطرح ؛ لكن هذا الزخم التفسيري أضفى عليه شيئا من الصعوبة والتعقيد ، فجميع الدارسين يتفقون على أن الفونيم هو الأصل أو العنصر الرئيس الذي ينطلق منه التحليل ، ولكن الاختلاف كان حول طبيعة هذا الأصل وكيف يتم تحديده .

وفيما يلي أربعة اتجاهات تفسر هذا المفهوم كما قدمها روادها

1 -الاتجاه العقلي :

هو نفسه الذي يسمّى بالاتجاه النفسي حيث يعرّف العلماء الفونيم بأنه : فكرة عقلية تقوم في الذهن، ذات طابع عقلي تجريدي ، ويعدّ بادوين من أوائل من تبناوا هذا الطرح ، وفسر الفونيم تفسير نفسيا ، فقام بإسقاط الفونيم في عالم الصورة

الذهنية ، وعزفه بعد ذلك معادلا نفسيا للصوت ، ويرى جاكسون أن طرح أصحاب الاتجاه النفسي طرح غامض لا يقدم تصورا واضحا للفونيم²¹ . ، فالتحليل النفسي نقل معيار للتحليل الصوتي من حقل اللسانيات إلى حقل علم النفس ؛ لذلك يرى جاكسون أن الفونيم صورة أكوستيكية بإمكان المتكلم نفسه أن يحدده في موقع معين²². و بناء على هذا التصور الجديد استطاع بادوين أن يفرّق بين علمين من علوم الأصوات هما: علم الأصوات العضوي وعلم الأصوات النفسي ، فالأول يدرس الأصوات المنطوقة ، والثاني يدرس الأصوات المنوي نطقها على مستوى الذهن²³.

أما رائد المدرسة الأمريكية في الاتجاه العقلي فهو سايبير، إذ طور هذا العالم اللغوي مفهوم الفونيم بأسلوبه الخاص مع إبقائه على مرجعية بادوين ذات الصبغة النفسية ، و عزّف الفونيم بأنه : صوت مثالي نحاول تقليده في النطق ولكننا نفشل في إنتاجه بنفس الصورة التي نسمعها . فسايبير يرى أن هذه الأصوات المثالية يكوّنها الإحساس الفطري بوجود علاقة بين الأصوات الحقيقية أكثر من إحساس المتكلم بهذه العلاقة ؛ لذلك فهو يدعو إلى تجاوز الإحساس للوصول إلى البديهة التي يمكن من خلالها ادراك الاشكال الممكنة للتعبير الذي يعطي المعنى²⁴.

أما أشهر من رفضوا هذا الاتجاه فأولهم تروبتسكي الذي يرى أن الفونيم هو مفهوم وظيفي يجب أن يعرف بالنسبة إلى وظيفته ؛ لأن تعريف الفونيم لا يمكن أن يتحقق بواسطة التحليل النفسي ، ومن الصعب جدا على الإنسان أن يثبت هذا الصوت ، لأنه لا يُستخدم كوحدة مستقلة إنما يظهر في الكلام المستمر ، ونستطيع أن نحدد خصائص الصوت بخصائص الفونيم لا خصائص الفونيم بخصائص الصوت ، ولذلك رُفضت بعد ذلك آراء أخرى لم تخرج عن الإطار النفسي الذي رسمه بادوين ، منها تعريف (van wijk) الذي يرى الفونيم من خلال علاقته بالذهن وربطه بالشعور²⁵، كذلك رُفض رأي (ماريو باي) الذي يرى أن الفونيم يعالج

مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد السابع
ماي 2016

الخصائص الصوتية الوثيقة الصلة بلغة معينة من وجهة نظر إحساس المتكلمين ،
وعليه فالفونيم هو وحدة ذهنية تجريدية²⁶.

وعليه فإن النظرة الذهنية للفونيم لم تُرفض بالكلية ، ولم تُأخذ بالكلية ، بل
الظاهر أن الصورة الذهنية _ أو ما سميت لاحقاً بالصورة الأكوستيقية _ يمكن
الإقرار بأنها حالة الفونيم في وقت معين ، و من ثم تتمثل هذه الصورة الذهنية من
خلال إثبات الصوت بصورة نطقية وظيفية تكشف عن خصائص الفونيم وصفاته .

2 -الاتجاه المادي :

يعد دانيال جونز هو المنظر الأول لهذا الاتجاه إذ يُعرف الفونيم بأنه
(: عائلة من الأصوات في لغة معينة متشابهة الخصائص ، ومستعملة بطريقة
لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في نفس السياق الصوتي الذي يقع
فيه الآخر)²⁷.

وبهذا التعريف يقرر جونز ما يلي:

1- لابد أن يكون الفونيم عنواناً على مجموعة أصوات . وهذا رأي سليم لأن الصوت
الواحد إذا ما نطق لا يمكن أن يعاد هو نفسه عند المتكلم الواحد ، وعليه يكون أي
فونيم هو عنوان مجموعة أصوات⁽²⁸⁾.

2- إن السياق الذي ينتج فيه الفونيم هو سياق كتابي أكثر منه نطقي ، ولا يتعد
هذا الرأي عما يقول به تروبتسكي ، فهو يرى أن مفهوم الفونيم له علاقة بمشكلة
الكتابة الصوتية²⁹.

3 - استبعاد الصوت المفرد لفكرة الفونيم، مع أن تروبتسكي يعتبر العلاقة في التحليل هي بين الصورة الصوتية (الصورة الأكوستيكية) و الفونيم وهذا دليل على عكس التصور المادي بعلاقة الفونيم بالصورة الصوتية .

4 - و الملاحظ هنا على رأي دانيال جونز أنه يقدم مفهوم الفونيم من خلال التمثيل الصوتي و طبيعة تحقق الصورة النطقية للفونيم بين أعضاء مجموعة الأصوات التي يتصدرها ذلك الفونيم ، إذ إن التنوع النطقي للفونيم الواحد متعدد الوجوه و يختلف من شخص لآخر ، لكنه في الكتابة الصوتية له صورة كتابية واحدة تمثله .

3 - الاتجاه الوظيفي :

أشهر من اهتم بهذا الاتجاه العالم اللغوي تروبتسكي بشكل خاص ومدرسة براغ بشكل عام ، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الفونيم : هو أصغر وحدة مميزة للكلمات في المعنى ، ولا يمكن تقسيم هذه الوحدات إلى عناصر صوتية أصغر من الوجهة اللغوية³⁰ . ويرى بعض العلماء الذين يتبنون هذا الاتجاه أن الفونيم يؤدي وظيفتين في الكلمة :إحدهما إيجابية و الأخرى سلبية ، ففي الأولى يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه والثانية يحفظ الفرق بين هذه الكلمة والكلمات الأخرى³¹ ، فالفونيم (ق) في (قال) يقوم بالوظيفة الإيجابية كباقي الفونيمات الأخرى في تعريف الكلمة دلاليا، أما الوظيفة السلبية فتتمثل في حفظ كلمة (قال) مختلفة عن نال و سال و غيرها . ولم يذهب بلومفيلد بعيدا في رأيه عن هذا الاتجاه فعرف الفونيم : أنه أصغر الوحدات الصوتية المميزة في المعنى ، وهي ليست أصواتا إنما صفات في الأصوات التي ينتجها المتكلم بالتدريب³² .

و يبدو أن رواد الاتجاه الوظيفي قد بحثوا فكرة الفونيم من خلال علم الأصوات الفونولوجي ، أي علم وظيفة الصوت في اللغة ، باعتبار أن الصور

النطقية للصوت الواحد ذات قيمة لغوية تؤدي إلى اختلاف المعنى ، وليست مجرد فروق نطقية محظلة أو اختلاف نطقي سياقي .

4 - الاتجاه التجريدي:

صاحب هذا الاتجاه هو العالم الأمريكي (توادل) ، الذي يرى أن الفونيم ليس له وجود من الناحية المادية ، ولامن الناحية العقلية إنما هو وحدة تجريدية تخيلية مصطنعة³³، وقد رد تروبتسكي هذا الاتجاه ، و رأى أن مستويات التجريد التي يسير عليها أصحاب هذا الاتجاه هما مستويان مختلفان عن بعضهما³⁴، فالمستوى الأول من التجريد ينظر إلى الصوت بصورة الذهنية (الصورة الأكوستكية) ، و المستوى الثاني ينظر إلى الصوت من خلال صلته ببيئته و هذا هو جوهر الاختلاف .

مكونات الفونيم :

تجمع الدراسات اللسانية الحديثة على أن الفونيم هو عبارة عن أسرة أو مجموعة وحدات صوتية يتصدرها عنصر رئيسي ، ويقول علماء الأصوات بوجود اتجاهين رئيسيين في تحليل الفونيم : أحدهما يرى أن مكونات الفونيم هي أصوات ، و الفونيم هو النوع الذي يجمع تلك الأصوات تحته ، و الآخر يرى أن مكونات الفونيم ملامح صوتية مميزة ، أو تجمعات من الخصائص النطقية³⁵ . و عليه فالفونيم أولا هو : عضو من مجموعة أعضاء يحوي من الصفات العامة المشتركة التي تشترك بها باقي الأعضاء ، و ثانيا هو : عنصر يحوي على صفات فردية تميزه عن غيره .

1 - أعضاء الفونيم :

أعضاء الفونيم التي تتعلق بالفونيم هي الفونات و الألفونات ، وهي عبارة عن التجسيد المادي للفونيم، أي الصورة الصوتية التي تمثل الوجه

المحسوس للفونيم ، ويعرّف (الفون) على أنه : (أي صوت لغوي مفرد بسيط يمكن تسجيله بالآلات الحساسة في المعمل)³⁶. وهذا التعريف يطلق على الصوت المفرد الذي يحقق الفونيم ، أو مصطلح يستخدم للدلالة على الصوت قبل اختباره وتوزيعه³⁷. أما الألفون فهو واحد من مجموعة أصوات تحقق الفونيم الأساسي ، والتي تسمى جميعا ألفونات ، ويشترط فيها أن تنقسم بعض التشابه الصوتي مثل المخرج وكيفية النطق ، والتمثيل برمز كتابي واحد³⁸.

ولما كان الألفون يعرّف بأنه كل مظهر مادي مختلف للفونيم ، ويجب أن تظهر أسباب هذا الاختلاف هل هي اختيارية أم إجبارية أم غير ذلك ، استطاع العلماء أن يقدموا حدودا واضحة حول هذا التنوع في النطق الذي ينتج أكثر من وجه للصوت الواحد ، فكانت الألفونات في هذا الباب تحت نوعين هما : ألفونات مشروطة ومقيدة ، و ألفونات غير مشروطة أو مقيدة بسياق أو بيئة معينة³⁹.

ومن الملاحظات التي تظهر على الألفونات بنوعها أن المشروط منها أو المقيد - أي الذي يظهر كحالة استثنائية للفونيم الأصلي تحت ظروف طارئة في تركيب معين أو سياق خاص - لا يمكن أن يحل مكان بعضه ، مع الإشارة إلى أن تغييرها لا يؤثر في المعنى إلا أن ظهور أوفون مكان آخر أمر صعب جدا تحت قواعد النطق السليم ومثال ذلك نقول :

إن ثاب ، أن قال

فصوت النون في التركيبيين هو الوفون خاص للفونيم الأساسي /ن/ حيث نلاحظ أن الأول قد تأثر مخرجه بوجود الثاء بعده مع محافظته على الصفات الأصلية له ، وهكذا الحال في الصوت الثاني الذي تأثر بوجود القاف ،

وهذان الصوتان لا يمكن أن يظهرأ بنفس هذا الوصف إلا ضمن هذا التركيب ؛
لذلك لا يمكن أن يحل أحدهما مكان الآخر .

أما الألوكونات غير المشروطة فمثالها تفخيم اللام وترقيقها في كلمة (الصلاة) فيمكن أن تحل المفخمة مكان المرققة دون عناء⁴⁰. وعلى الرغم من التوضيح الذي قدمته الدراسات اللسانية للفونيم و أعضائه إلا أن كثيرا من العلماء قدموا تصورات متعددة لهذه الأعضاء و أسماء كثيرة ، لكن اللافت للنظر أن الباحثين في هذا المجال لم يتوقفوا عند حد معين ، بل تعددت آراءهم حول تحقيق الفونيم والألوفون والفرق بينهما .

و بآية ما سلف فإن فكرة تحقيق الفونيم هي مسألة واضحة ، لكن الاتجاهات التي عرضناها لعلماء الأصوات في البداية فتحت مجال التكهن والتخمين أمام الدارسين ليقعوا في خلط واضح ، فالفونيم عند أغلب الباحثين هو مجموعة من الأصوات ، لا ينطق ولا يتحقق إلا بواسطة أفرادها ، وما يظهر من الفونيم إنما هو صورة أساسية تتمثل بالرمز الكتابي الذي يجمع تلك الأسرة ويُصطلح عليه بالحرف .

إن الفونيم الأساسي الذي يمثل أي أسرة صوتية ، هو أحد أفراد تلك الأسرة أو المجموعة ، لكن الخصوصية التي اكتسبها هذا الصوت كما يرى جوزيف فاجيك⁴¹ أن اعتماده على الفونيمات المجاورة في السياق أقل من غيره ، أما الألوكونات الأخرى. فتبدو محددة في بيئات صوتية خاصة ، أو هي مشروطة بما يجاورها من الأصوات ، ويقول جونز إن اكتساب هذه الأعضاء هذه الأهمية والشبوع يعود إلى أسباب هي⁴²:

1 - يكون هذا العضو أكثر ورودا في الاستعمال اللغوي من بقية الأعضاء .

2 - لأن هذا العضو يستعمل منعزلا عن السياق .

3 - لأنه متوسط بين الأعضاء .

2- الملامح التمييزية :

تعد فكرة الملامح التمييزية من أفكار مدرسة براغ بزعامة رومان جاكسون ، الذي حاول عن طريقها أن يهدم فكرة أن الفونيم أصغر وحدة صوتية ، فهذا التحليل الجديد يختلف عن التحليل الفونولوجي التقليدي في بحثه حول الفونيم ، لكن الجديد فيه هو محاولة أنصار هذا الاتجاه أن يقدموا تصورا جديدا ينفي الصورة البسيطة للفونيم ، ويثبتوا أنه مركب من عناصر أو ملامح خاصة .
43

إن الفونيم كما تراه نظرية الملامح التمييزية هو إنتاج مركب للغة ، يتباين مع الملامح القادرة على التمييز بين الأصوات ، فالملاح هي وحدات بسيطة غير قابلة للتقسيم ، فالملمح القادر على التمييز عضو من تغاير واحد فقط ، وهو في وضع تضاد لملاح مقابل في صوت آخر ، في حين نجد الفونيم مجموعة من التقابلات الكثيرة ، يشتمل على ملامح قادرة على التمييز ، وعلى أساس تلك الصفات الأكوستيكية يكون الفونيم في وضع اختلاف مع فونيم آخر⁴⁴ ، بهذا التصور لفكرة الملامح اعتقد جاكسون أنه يستطيع هدم نظرية الفونيم .

وعلى سبيل المثال: الفونيمان /B/ ، /M/

/B/ +وقفة +شفوي +مجهور /M/ + انفي + شفوي +

مجهور

نلاحظ أن هذين الفونيمين يشتركان في ملمحين : الشفوية
والجهر والفرق بينها /B/ - أنفية ، /M/+ أنفية كذلك /B/ + وقفة ،
/M/ - وقفة .

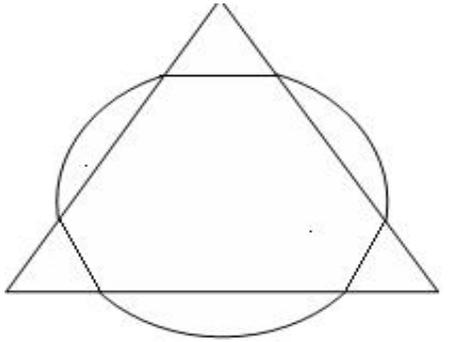
فكل فونيم مكون من ثلاثة ملامح تمييزية أساسية ، نجد أن
الشفوية والجهر قاسم مشترك بين الفونيمين ، وزيادة الأنفية ينتج ميمًا ،
وزيادة الوقفة ينتج باءً .

أما عدد الملامح التمييزية فقد اختلف فيها كثيرا ، فعلماء اللغة
يفترضون قائمة من الملامح في حدود اثني عشر ملمحا تمييزيا ، أغلبها
موجود بنطق مختلف في الأبنية الفونولوجية في عالم اللغات ، ويرى
آخرون أنها ستة عشر ملمحا محددة وفقا لشروط سمعية ونطقية - وهذه
اللامح هي أماكن النطق وبعض الصفات النطقية الخاصة بالأصوات -
45 .

ويرى أصحاب فكرة الملامح التمييزية أن كلا من الفونيم
والألوفون يمكن أن يتفقا على مستوى التمثيل الصوتي ، لكن الفرق بينهما
بناء على هذا ليس على مستوى النطق ، إنما الفرق هو دلالي صرف ،
فالفونيم يفرّق بين المعاني ، و الألوفون (التنوعات النطقية للفونيم الواحد)
لا يفرّق بين المعاني ، وعليه فالفونيم يمكن أن يحدد بكلمة (مورفيم) أي
- أن المورفيم هو التحقيق المادي للفونيم - وهذا الرأي يقترب كثيرا من
قول من يرون أن الفونيم يتحقق عن طريق أصوات الكلام ، أو عن طريق
تدريب المتكلم على نطقها والتعرف عليها⁴⁶ .

ويقسم العلماء الملامح الصوتية إلى قسمين : قسم يعد ملامح تمييزية وقسم آخر ملامح غير تمييزية ، أما القسم الأول فهو على نوعين : الأول هو الملامح التمييزية الأصلية ، وهي الملامح النطقية التي يتكون منها الصوت في النطق ، ومثال ذلك صوت اللام في كلمة (الله) . /ل/ : هو صوت لثوي جانبي مجهور ، فهذه ملامح أساسية تظهر في كل أفراد هذا الفونيم ، أما النوع الثاني فهو الملامح الثانوية التي تظهر على الصوت في سياق معين ، ويمكن الاستغناء عنها في سياق آخر مثل صفة التفخيم أو صفة الترقيق في صوت اللام عند قولنا (هو في ذمة الله) فاللام في كلمة الله مرقق ، و قولنا (إن الله غفور) فاللام هنا مفخمة . والقسم الثاني من الملامح ، هي الملامح غير التمييزية والتي تعود إلى انفعال المتكلم ، وتقتزن بالدلالة اللغوية التي يمكن أن تُفيد منها .

وهذا الشكل يوضح لنا هذه الملامح :



1- الأجزاء التي تظهر من زوايا المثلث خارج الدائرة تمثل ملامح ثانوية تظهر على الألفون مشروطة وغير مشروطة .

2- الجزء داخل الدائرة من المثلث يمثل ملامح أساسية في الفونيم

الأصلي يشترك بها كل ألوفون أو تنوع صوتي من تلك المجموعة .

3- الجزء الخارجي من الدائرة يمثل الملامح غير التمييزية التي ترافق

الألوفون أثناء النطق وقد تظهر على مستوى الدلالة .

أنواع الفونيمات :

تقسم الفونيمات إلى قسمين :

1- الفونيمات الأساسية .

2- الفونيمات الثانوية .

فالفونيمات الأساسية هي مجموعة من الصوامت والحركات التي تتكون منها اللغة، والتي تشكل في طبيعتها أجزاء الكلام ؛ لذلك تسمى بالفونيمات التركيبية أو الجزئية، و أما الفونيمات التي تمثل ملامح صوتية تؤثر في الأصوات ولا تدخل في التركيب فهي الفونيمات الثانوية ، وتسمى فوق التركيبية أو فوق القطعية مثل : النبر والتنغيم وغيرها⁴⁷.

الكتابة الفونيمية :

وقد اصطلح بين علماء الدراسات اللسانية على كتابه الفونيم و أفراده بوصف مميز بحيث اذا تم كتابة صوت على اعتبار انه فونيم عُرف أنه ليس

ألوفون ، والعكس صحيح ، فكتابه الفونيم يرمز للصوت الذي يمثله بخطين
مائلين : / / أما الألوفون فعلى شكل قوسين بخط مستقيم : [] .

الخاتمة :

خلاصة هذه الدراسة نثبت فيها عدة ملاحظات مهمة حول نظرية الفونيم
, إلا أننا لا نزمع أن ثمت سبق جديد في هذه الملاحظات , بل هذه الملاحظات هي
النتيجة العلمية لذلك الاستقراء الذي حشدنا خلاله أغلب الدراسات التي تناولت
ظاهرة الفونيم , سواء أكانت ترجمة أو نقلا .

-ظاهرة الفونيم من خلال هذا الاضطراب الذي يحيط بها في
اتجاهات البحث اللغوي التي تبتناها العلماء الغرب و نقله عنهم
علماء العرب , تثبت أن الفونيم لايزال في طور تشكل المفهوم و لم
يصل إلى حد المصطلح .

-إن البحث في مفهوم الفونيم لم يكن بحث في الفروق النطقية
المحضة , إنما هو بحث في الفروق التي تؤدي إلى اختلاف
المعاني ضمن سياقات صوتية مختلفة لكلمات مختلفة .

-إن تعاطي علماء العرب مع ظاهرة الفونيم لم يُظهر أن لهم توجه
خاص في طرح هذا المفهوم في الدرس اللغوي العربي , بل جاءت
جلّ آرائهم منسوخة عن الطرح الغربي الذي نقلوه عن الكتب
المترجمة .

الهوامش :

¹ - انظر : حسان , تمام , اللغة بين المعيارية والوصفية , الدار البيضاء : دار الثقافة , 1992م. ص 120 , 130

- و الشايب ، فوزي ، محاضرات في اللسانيات ، عمان : وزارة الثقافة ، 1999م. ص 110.
- 2 - فندريس ، اللغة ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، الأنجلو المصرية ، ص 62.
- 3 - انظر : السعران ، محمود ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، بيروت : النهضة العربية . ص 195-196 ،
الجديد في هذه النظرية هو التصور الخاص لعلماء اللغة لمعنى الفونيم ، فقد قدم علماء الأصوات اللغوية نظريات متعددة في
تحديد الفونيم .
- 4 - انظر : موان ، جورج ، علم اللغة في القرن العشرين ، ترجمة ؛ نجيب غزاوي : الجمهورية العربية السورية : وزارة
التربية والتعليم العالي، د.ن. ص 30 .
- : ياكسون رومان ، ست محاضرات في الصوت والمعنى ، ترجمة : حسن ناظم ، علي حاكم صالح ، بيروت
المركز الثقافي العربي ، 1994م ، ص 64.
- : عمر ، أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوي ، القاهرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1991م. ، ص 169.
- 5 - انظر : الشايب ، محاضرات في اللسانيات ، ص 111.
- 6 - انظر : عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 169 .
- 7 - موان ، علم اللغة في القرن العشرين ، ص 30.
- 8 - ياكسون ، ست محاضرات في الصوت والمعنى ، ص ، 64 ، 67 ، 68.
- 9 - انظر : عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 169.
- 10 - انظر : حسان ، تمام ، مناهج البحث اللغوي ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ، 1974، ط2، ص 255.
- 11 - انظر : المرجع السابق . ص 170
- 12 - انظر : المرجع السابق ، ص 170.
- 13 - المرجع السابق ، ص 165
- 14 - المرجع السابق ، ص 166
- 15 - هوكر ، ترنس ، البنوية وعلم الإشارة ، ترجمة : مجيد الماشطة بغداد ، 1986م ، ص 30.
- 16 - انظر : عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 166، 167.
- 17 - انظر : المرجع السابق ، ص 167 .
- 18 - انظر : ياكسون ، ست محاضرات في الصوت والمعنى ، ص 64
- 19 - انظر : حسان ، مناهج البحث اللغوي ، ص 130.
- 20 - عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 174 .
- 21 - انظر : ياكسون ، ست محاضرات في الصوت والمعنى ، ص 67.
- 22 - انظر : المرجع السابق ، ص 69 .
- 23 - انظر : حسان ، مناهج البحث اللغوي ، ص 139 ،

- 24 - بشر ، كمال ، علم الأصوات ، القاهرة : دار غريب ، 2000م ، ص 487.
- 25 - انظر : المرجعين السابقين ، ص 129، 488.
- 26 - انظر : شاهين ، عبد الصبور ، في علم اللغة العام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1980، ط3. ص 130، 129 .
- 27 - انظر : باي ، ماريو ، أسس علم اللغة ، ترجمة: احمد مختار عمر، القاهرة : عالم الكتب ، القاهرة ، 1987م ، ط 3. ص 88 .
- 28 - عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، 177، وانظر: الشايب ، محاضرات في اللسانيات ، ص 106
- 29 - انظر: شاهين ، في علم اللغة العام ، ص 132، 133 .
- 30 - انظر : المرجع السابق ، ص 133 .
- 31 - انظر : حسان ، مناهج البحث اللغوي ، ص 130. و في علم اللغة العام ، ص 121 وما بعدها .
- 32 - انظر : السعران ، علم اللغة ، ص 197 ، و دراسة الصوت اللغوي ، ص 180.
- 33 - انظر: مناهج البحث اللغوي ، ص 13، الشايب ، محاضرات في اللسانيات ، ص 106
- 34 - انظر : حسان ، مناهج البحث اللغوي ، ص 13. ، والشايب ، محاضرات في اللسانيات ، ص 106 .
- 35 - انظر : عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 181.
- 36 - انظر : المرجع السابق ، ص 183 .
- 37 - باي ، أسس علم اللغة ، ص 47 .
- 38 - انظر : الشايب ، محاضرات في اللسانيات ، ص 109.
- 39 - انظر : بشر ، علم الأصوات ، ص 484، 483 .
- 40 - انظر : المرجع السابق .
- 41 - انظر : بشر ، علم الأصوات ، ص 484.
- 42 - انظر : عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 201.
- 43 - انظر : حسان ، مناهج البحث اللغوي ، ص 126.
- 44 - الشايب ، محاضرات في اللسانيات ، ص 116.
- 45 - انظر : عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 186، 187.
- 46 - انظر : المرجع السابق ، ص 117 وما بعدها .
- 47 - انظر : عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 202، 203 .
- 48 - انظر : باي ، أسس علم اللغة ، ص 92 . وعمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص 220.